السلفية

في

المجتمعات المعاصرة

Türkiye Diyanet Vakfı
Kütüphanesi
İslâm Ansiklopedisi

د. محمد فتحي عثمان
كلية العلوم الاجتماعية
جامعة الامام محمد بن سعود
الرياض

Ka
To

حقوق الطبع محفوظة

الطبعة الثانية
١٤٠١ هـ - ١٩٨١ م

دار القلم – الكويت – شارع السور – عمارة السور
ص . ب ٢٠١٤٦ – هاتف ٤٢٥١٦٠ – برقياً توزيمكو

بسم الله الرحمن الرحيم

« السلفية » فى المجتمعات الاسلامية المعاصرة

« ويعبدون من دون الله مالا يضرهم ولا ينفعهم ، ويقولون هؤلاء شفعاؤنا عند الله ، قل أتنبئون الله بمالا يعلم فى السموات ولا فى الأرض ، سبحانه وتعالى عما يشركون · وما كان الناس الا أمة واحدة فاختلفوا ، ولولا كلمة سبقت من ربك لقضى بينهم فيما فيه يختلفون » (يونس / ١٨–١٩) ·

قال ابن كثير (المتوفى فى ٧٧٤ هـ) فى تفسير الآيتين من سورة يونس : « ينكر تعالى على المشركين الذين عبدوا مع الله غيره ظانين أن تلك الآلهة تنفعهم شفاعتهم عند الله ، فأخبر تعالى أنها لا تضر ولا تنفع ولا تملك شيئا ولا يقع شىء مما يزعمون فيها ولا يكون هذا أبدا ··· ثم أخبر تعالى أن هذا **الشرك حادث فى الناس** ، كائن بعد أن لم يكن ، وأن الناس كلهم كانوا على دين واحد وهو الاسلام · قال ابن عباس : كان بين آدم ونوح عشرة قرون كلهم على الاسلام ثم وقع الاختلاف بين الناس وعبدت الأصنام **والانداد** والأوثان فبعث الله الرسل بآياته وبيناته وحججه البالغة وبراهينه الدامغة (ليهلك من هلك عن بينة ويحيى من حى عن بينة) ··· وقوله (ولولا كلمة سبقت من ربك) – الآية : أى لولا ما تقدم من الله تعالى أنه لا يعذب أحد الا بعد قيام الحجة عليه، وأنه أجل الخلق الى أجل معدود ، لقضى بينهم فيما اختلفوا فيه فأسعد المؤمنين وأعنت الكافرين » (جـ ٢ من تفسير ابن كثير دار احياء الكتب العربية بالقاهرة · ص ٤١١) ·

وقد نزل القرآن الكريم على محمد صلى الله عليه وسلم الذى أرسل الى البشر كافة يذكر الناس بالتوحيد الخالص والحنيفية الصافية ووجوب نبذ الشركاء والشفعاء وكل ما اتخذوا من دون الله من أولياء «اتبعوا ما أنزل اليكم من ربكم ولا تتبعوا من دونه أولياء ، قليلا ما تذكرون» (الأعراف/٣) ، « انا أنزلنا اليكالكتاب بالحق ، فاعبد الله مخلصا له الدين · ألا لله الدين الخالص، والذين اتخذوا من دونه أولياء ما نعبدهم الا ليقربونا الى الله زلفى ، ان الله يحكم بينهم فيما هم فيه يختلفون ، ان الله لا يهدى من هو كاذب كفار » (الزمر/٢–٣) ··· قال ابن كثير فى تفسير الآية السابقة من سورة الزمر : « ··· (الا ليقربونا الى الله زلفى) : أى ليشفعوا لنا ويقربونا عنده منزلة ،

ولهذا كانوا يقولون فى تلبيتهم اذا حجـــوا فى جاهليتهم (لبيك لا شريك لك ، الا شريكا هو لك ، تملكه وما ملك) · وهذه الشبهة هى التى اعتمدها المشركون فى قديم الدهر وحديثه ، وجاءتهم الرسل صلوات الله وسـلامه عليهم أجمعين بردها والنهى عنها ، والدعوة الى افراد العبـادة لله وحده لا شريك له ، وأن هذا شىء اخترعه المشركون من عند أنفسهم لم يأذن الله فيه ولا رضى به بل أبغضه ونهى عنه : (ولقد بعثنا فى كل أمة رســولا أن اعبدوا الله واجتنبوا الطاغوت) (وما أرسلنا من قبلك من رســول الا نوحى اليه أنه لا اله الا أنا فاعبدون) · وأخبر أن الملائكة التى فى السموات من الملائكة المقربين وغيرهم كلهم عبيد خاضعون لله لا يشفعون عنده الا باذنه لمن ارتضى ، وليسوا عنده كالأمراء عند ملوكهم يشـفعون عنهم بغير اذنهم فيما أحبه الملوك وأحبوه ، (فلا تضربوا لله الأمثال) ـ تعالى الله عن ذلك علوا كبيرا ··· (سبحانه هو الله الواحد القهار) : أى تعالى وتنزه وتقدس عن أن يكون له ولد فانه الواحد الأحد الفرد الصمد الذى كل شىء عبد لديه فقير اليه ، وهو الغنى عما سواه ، قد قهر الأشـياء فدانت وذلت وخضعت ، تبارك وتعالى عما يقـول الظالمون والجاحدون علوا كبيرا » (ج ٤ ص ٤٥) ·

حقيقة السـلفية

لقد استجاب سـلف هذه الأمة لدعوة القرآن الى التوحيد الخالص فى عبادة الله والاستعانة به ، وجدوا ما كان عليه رسل الله وأنبياؤه أجمعون وكل اتباعهم المؤمنون ··· فكانت عقيدة السـلف فى أيسر تعريف لها وبيان لمضمونها هى هذا التوحيد الخالص الذى جاء به رسل الله وأنبياؤه جميعا ، توحيدا كاملا محكما لا يتعارض فيه قول مع قول ، ولا قول مع فعل ، ولا فعل مع فعل « فان الاخلاص والتوكل جماع صلاح الخاصة والعامة . كما أمرنا أن نقول فى صلاتنا : (اياك نعبد واياك نستعين) ـ فهاتان الكلمتان قد قيل انهما تجمعان معانى الكتب المنزلة من السماء » وقد أمر الله بعبادته والتـوكل عليه فى مواضع عدة من كتابه منها قوله تعالى فى الفاتحة : (اياك نعبـد واياك نستعين) «وعلم القرآن جمع فى الفاتحة ، وعلم الفاتحة فى هذين الأصلين: عبادة الله والتوكل عليه »(١) « وجماع الدين أصـلان : لا نعبد الا الله ، وألا نعبده

(١) ابن تيمية : جامع الرسائل بتحقيق محمد رشـاد سالم ـ المجموعة الأولى ـ القاهرة ١٣٨٩ هـ / ١٩٦٩ م ـ ص ٨٢ ، ٩١ ·

الا بما شرع لا نعبده بالبدع كما قال تعالى (فمن كان يرجوا لقاء ربه فليعمل عملا صالحا ولا يشرك بعبادة ربه أحدا) · وذلك تحقيق الشهادتين : شـهادة أن لا اله الا الله وشهادة أن محمدا رسول الله ، ففى الأولى ألا نعبد الا اياه ، وفى الثانية أن محمدا هو رسوله المبلغ عنه فعلينا أن نصدق خبره ونطيع أمره · وقد بين لنا ما نعبد الله به ، ونهانا عن محدثات الأمور وأخبر أنها ضـلالة · قال تعالى (بلى من أسلم وجهه لله وهو محسن فله أجره عند ربه ولا خـوف عليهم ولا هم يحزنون) · وكمـا أننـا مأمورون أن لا نخاف الا الله ولا نتوكل الا على الله ولا نرغب الا الى الله وأن لا نستعين الا بالله وأن لا تكون عبادتنا الا لله ، فكذلك نحن مأمورون أن نتبع الرسـول ونطيعه ونتأسى به فالحلال ما حلله والحرام ما حرمه والدين ما شرعه · قال تعالى : (ولو أنهم رضـوا ما آتاهم الله ورسوله وقالوا حسبنا الله سيؤتينا الله من فضله ورسوله انا الى الله راغبون) ، فجعل الايتاء لله وللرسول كما قال (وما آتاكم الرسول فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا) ، وجعل التوكل على الله وحده بقوله (وقالوا حسبنا الله) ولم يقل ورسوله ، كما قال فى وصف الصحابة رضى الله عنهم فى الآية الأخرى (الذين قال لهم الناس ان الناس قد جمعوا لكم فاخشـوهم فزادهم ايمانا وقالوا حسبنا الله ونعم الوكيل) ··· ثم قال : (سيؤتينا الله من فضله ورسوله) ـ فجعل الايتاء لله وللرسول وقدم ذكر الفضل لله لأن الفضل بيد الله يؤتيه من يشاء والله ذو الفضل العظيم ، وله الفضل على رسـوله وعلى المؤمنين · وقال (انا الى الله راغبون) فجعل الرغبة الى الله وحده ، كما فى قوله (فاذا فرغت فانصب · والى ربك فارغب) · وقال النبى صلى الله عليه وسـلم لابن عباس (اذا سـألت فاسـأل الله واذا استعنت فاستعن بالله) والقرآن يدل على مثل هذا فى غير موضع · فجعل العبادة والخشـية والتقوى لله وجعل الطاعة والمحبة لله ورسوله ، كما فى قول نوح عليه السـلام : (أن اعبدوا الله واتقوه وأطيعون) ، وقوله (ومن يطع الله ورسـوله ويخشى الله ويتقه فأولئك هم الفائزون) وأمثال ذلك · فالرسل أمروا بعبادته وحده والرغبة اليه والتوكل عليه ، وطاعته والطاعة لهم · فاضل الشيطان النصارى وأشباههم فاشركوا بالله وعصوا الرسـول ، فاتخذوا أحبارهم ورهبانهم أربابا من دون الله والمسيح بن مريم ، فجعلوا يرغبون اليهم ويتوكلون عليهم ويسـألونهم مع معصيتهم لأمرهم ومخالفتهم لسـنتهم ، وهدى الله المؤمنين المخلصين لله أهل الصراط المستقيم ، الذين عرفوا الحق واتبعوه فلم يكونوا من المغضوب عليهم

ولا الضالين ، فأخلصوا دينهم لله وأسلموا وجوههم لله وأنابوا الى ربهم ، وأحبوه ورجوهوخانوه وسألوه ورغبوا اليه وفوضوا أمورهم اليه وتوكلوا عليه وأطاعوا رسله وعزروهم ووقروهم وأحبوهم ووالوهم واتبعوهم واقتفوا آثارهم واهتدوا بمنارهم • **وذلك هو دين الاسلام الذى بعث الله به الأولين والآخرين من الرسل ، وهو الدين الذى لا يقبل من أحد دينا الا اياه ، وهو حقيقة العبادة لرب العالمين** • فنسأل الله العظيم أن يثبتنا عليه ويكمله لنا ويميتنا عليه وسائر اخواننا المسلمين » (١) •

معنى السلفية :

فليست عقيدة السلف رضى الله عنهم الا ما أمر الله به من توحيده وافراده بالربوبية والألوهية ، والاتجاه اليه وحده سبحانه فى النية والعمل ، **وهو التوحيد الذى بعث به الله كل نبى ورسول وأنزله فى كل كتاب ••• فهى « السلفية » وهى « الحنيفية » وهى « فطرة الله التى فطر الناس عليها »** « ضرب لكم مثلا من أنفسكم ، هل لكم مما ملكت أيمانكم من شركاء فيما رزقناكم فأنتم فيه سواء تخافونهم كخيفتكم أنفسكم ، كذلك نفصل الآيات لقوم يعقلون • بل اتبع الذين ظلموا أهواءهم بغير علم ، فمن يهدى من أضل الله ، وما لهم من نصرين ، **فأقم وجهك للدين حنيفا** ، فطرة الله التى فطر الناس عليها ، لا تبديل لخلق الله ذلك الدين القيم ولكن أكثر الناس لا يعلمون • منيبين اليه واتقوه وأقيموا الصلاة ولا تكونوا من المشركين • من الذين فرقوا دينهم وكانوا شيعا ، كل حزب بما لديهم فرحون » (الروم/٢٨ ــ ٣٢) ، « قل يا أيها الناس ان كنتم فى شك من دينى فلا أعبد الذين تدعون من دون الله ، ولكن أعبد الله الذى يتوفاكم ، وأمرت أن أكون من المؤمنين ، **وأن أقم وجهك للدين حنيفا** ولا تكونن من المشركين • ولا تدع من دون الله ما ينفعك ولا يضرك ، فان فعلت فانك اذن من الظالمين • وان يمسسك الله بضر فلا كاشف له الا هو ، وان يردك بخير فلا رد لفضله ، يصيب به من يشاء من عباده وهو الغفور الرحيم ، قل يأيها الناس قد جاءكم الحق من ربكم **فمن اهتدى** فانما يهتدى لنفسه ، ومن ضل فانما يضل عليها وما أنا عليكم بوكيل » (يونس / ١٠٤ ــ ١٠٨) « قل اننى هدانى ربى الى صراط مستقيم **دينا قيما**

---

(١) ابن تيمية : العبودية ــ تقديم وتعليق عبد الرحمن البانى ــ ط ٤ بيروت ١٣٩٧ هـ ص ١٧٠ ــ ١٧٤

ملة ابراهيم حنيفا وما كان من المشركين • قل ان صلاتى ونسكى ومحياى ومماتى لله رب العالمين • لا شريك له ، وبذلك أمرت وأنا أول المسلمين • قل أغير الله أبغى ربا وهو رب كل شىء ولا تكسب كل نفس الا عليها ولا تزر وازرة وزر أخرى ، ثم الى ربكم مرجعكم فينبئكم بما كنتم فيه تختلفون » (الأنعام / ١٦١ ــ ١٦٤) • يقول شيخ الاسلام تقى الدين أحمد بن تيمية رحمه الله (المتوفى سنة ٧٢٨هـ) ، « **ورأس الاسلام مطلقا شهادة أن لا اله الا الله وبها بعث جميع الرسل** كما قال تعالى (ولقد بعثنا فى كل أمة رسولا أن اعبدوا الله واجتنبوا الطاغوت) وقال تعالى (وما أرسلنا من قبلك من رسول الا نوحى اليه أنه لا اله الا أنا فاعبدون) ، وقال عن الخليل (واذ قال ابراهيم لأبيه وقومه اننى براء مما تعبدون • الا الذى فطرنى فانه سيهدين • وجعلها كلمة باقية فى عقبه لعلهم يرجعون) •••• وذكر عن رسله كنوح وهود وصالح وغيرهم أنهم قالوا لقومهم (اعبدوا الله ما لكم من اله غيره) ، وقال عن أهل الكهف (انهم فتية آمنوا بربهم وزدناهم هدى • وربطنا على قلوبهم اذ قاموا فقالوا ربنا رب السموات والأرض لن ندعو من دونه الها لقد قلنا اذن شططا) الى قوله (فمن أظلم ممن افترى على الله كذبا) وقد قال سبحانه (ان الله لا يغفر أن يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء) ــ ذكر ذلك فى موضعين من كتابه • وقد بين فى كتابه الشرك بالملائكة والشرك بالأنبياء والشرك بالكواكب والشرك بالأصنام ، وأصل الشرك الشرك بالشيطان •••• فبين أن اتخاذ الملائكة والنبيين أربابا كفر • **ومعلوم أن أحدا من الخلق لم يزعم أن الأنبياء والأحبار والرهبان والمسيح بن مريم شاركوا الله فى خلق السموات والأرض** ، بل ولا زعم أحد من الناس أن العالم له صانعان متكافئان فى الصفات والأفعال ، بل ولا أثبت أحد من بنى آدم الها مساويا لله فى جميع صفاته ، **بل عامة المشركين بالله مقرون بأنه ليس شريكه مثله ، بل عامتهم يقرون أن الشريك مملوك له :** سواء أكان ملكا أو نبيا أو كوكبا أو صنما ، كما كان مشركو العرب يقولون فى تلبيتهم : (لبيك لا شريك لك • الا شريكا هو لك ، تملكه وما ملك) فأهل رسول الله صلى الله عليه وسلم بالتوحيد وقال : (لبيك اللهم لبيك ، لبيك لا شريك لك لبيك ، ان الحمد والنعمة لك والملك ، لا شريك لك) ••• وقد أخبر سبحانه عن المشركين من اقرارهم بأن الله خالق المخلوقات ما بينه فى كتابه **(ولئن سألتهم من خلق السموات والأرض ليقولن الله •••)** ، وقال تعالى (قل لمن الأرض ومن فيها ان كنتم تعلمون • سيقولون لله ، قل أفلا تذكرون) ــ الى قوله (فأنى تسحرون) ، ثم قوله (ما أتخذ الله من

ولد وما كان معه من اله ، اذن لذهب كل اله بما خلق ولعلا بعضهم على بعض ، سبحان الله عما يصفون) وقال (وما يؤمن أكثرهم بالله الا وهم مشركون) ... ومعلوم أن المشركين من العرب الذين بعث اليهم محمد صلى الله عليه وسلم لم يكونوا يخالفونه فى هذا ، بل كانوا يقرون بأن الله خالق كل شىء ، حتى أنهم كانوا يقرون بالقدر أيضـــا ، وهم مع هذا مشركون • فقد تبين أن ليس فى العالم من ينازع فى أصل هذا الشرك ... والـــكلام الآن مع المشركين بالله المقرين بوجوده ، فان هذا التوحيد الذى قرروه (أى المتكلمون) لا ينازعهـم فيه هؤلاء المشركون ، بل يقرون به مع أنهم مشركون وكما ثبت بالكتاب والسنة والاجماع ، وكما علم بالاضطرار من دين الاســـلام ... **وليس المراد بالاله هو القادر على الاختراع** كما ظنه من ظنه من ائمـــة المتكلمين ، حيث ظن أن الالهية هى القدرة على الاختراع دون غيره وأن من أقر بأن الله هو القادر على الاختراع دون غيره فقد شهد أن لا اله الا هو ، فان المشركين كانوا يقرون بهذا وهم مشركون كما تقدم بيانه • **بل الاله الحق هو الذى يســـتحق أن يعبـــد** فهو اله بمعنى مألوه ... والتوحيد أن يعبـــد الله وحـــــده لا شريك له ، والاشراك أن تجعل مع الله الها آخر ، **واذن تبين أن غاية ما يقـرره هـؤلاء النظار (أى المتكلمون) أهل الاثبات للقدر المنتسبون الى السنة انما هو توحيد الربوبية وأن الله رب كل شىء ، ومع هذا فالمشركون كانوا مقـرين بذلك مع أنهم مشركون ، وكذلك طوائف من أهل التصوف والمتسبين للمعرفة والتحقيق والتوحيد غاية ما عندهم من التوحيد هو شهود هذا التوحيد** ، وأن يشـــهد أن الله رب كل شىء ومليكه وخالقه لاسيما اذا غاب العارف بموجوده عن وجوده وبمشهوده عن شهوده وبمعروفه عن معرفته ، ودخل فى فناء توحيد الربوبية بحيث يفنى من لم يكن ويبقى من لم يزل ، فهذا عندهم هو الغاية التى لا غاية وراءها ، ومعلوم أن هذا هو تحقيق ما أقر به المشركون من التوحيـــد ، **ولا يصير الرجل بمجرد هذا التوحيد مسلما فضـــلا عن أن يكون وليا لله أو من سادات الأولياء** ... وكلما ضعف من يقوم بنور النبوة قويت البدعة ! فهؤلاء المتصوفون الذين يشهدون الحقيقة الكونية مع اعراضهم عن الأمر والنهى شر من القدرية والمعتزلة ونحوهم ، أولئك يشبهون المجوس وهؤلاء يشـــبهون المشركين الذين قالوا (لو شاء الله ما أشركنا ولا آباؤنا ولا حرمنا من شىء) والمشركين أشر من المجوس • فهذا أصل عظيم على المسلم أن يعرفه ، فانه أصل الاسلام الذى يتميز به أصل الايمان من أصل الكفر : **وهو الايمان بالوحدانية والرسالة** ـ شهادة أن لا اله الا الله وأن محمدا رســـول الله ، وقد وقع كثير

من الناس فى الاخلال بحقيقة هذين الأصلين أو أحدهما مع ظنه أنه فى غايـة التحقيق والتوحيد والعـلم والمعـــرفة ، فاقرار المشرك بأن الله رب كل شىء ومليكه وخالقه ، لا ينجيه من عذاب الله ان لم يقرون به اقراره بأنه لا اله الا الله فلا يستحق العبادة أحد الا هو ، وأن محمدا رسول الله فيجب تصديقه فيما أخبر وطاعته فيما أمر • فلابد من الكلام فى هذين الأصلين :

الأصل الأول توحيد الالهية فانه سبحانه أخبر عن المشركين بأنهم أثبتوا وسائط بينهم وبين الله يدعونهم ويتخذونهم شفعاء بدون اذن الله ، قال تعالى (ويعبدون من دون الله مالا يضرهم ولا ينفعهم ويقولون هؤلاء شفعاؤنا عند الله ، قل أتنبئون الله بما لا يعلم فى السموات والأرض ، سبحانه وتعالى عما يشركون) ـ فأخبر أن هؤلاء الذين اتخذوا هؤلاء شفعاء مشركون .... ومن تحقيق التوحيد أن يعلم أن الله تعالى أثبت له حقا لا يشركه فيه مخلوق كالعبادة والتوكل والخوف والخشية والتقوى ...

الأصل الثانى : حق الرســـول صـــلى الله عليـه وســـلم ، فعلينا أن نؤمن به ونطيعـه ونتبعه ونرضـيه ونحبـه ونســـلم لحكمـه .... قال تعالى (من يطع الرسول فقد أطاع الله) .... وقال تعـــــالى (فلا وربك لا يؤمنون حتى يحكموك فيما شجر بينهم ثم لا يجدوا فى أنفسهم حرجا ممـــا قضيت ويسلموا تسليما) .... **ولابد فى عبادته من أصلين : أحدهما اخلاص الدين له ، والثانى: موافقة أمره الذى بعث به رسله** ، ولهذا كان عمر بن الخطاب يقول فى دعائه : اللهم اجعل عملى كله صالحا واجعله لوجهك خالصـــا ولا تجعل لأحد فيه شـيئا ، وقال الفضيل بن عياض فى قوله تعالى (ليبلوكم أيكم أحسن عملا) : أخلصه وأصوبه ، قالوا يا أبا على ما أخلصه وأصوبه ؟ قال : اذا كان العمل خالصا ولم يكن صوابا لم يقبل ، واذا كان صوابا ولم يكـــن خالصا لم يقبل حتى يكون خالصا صوابا ـ والخالص أن يكون لله والصـــواب أن يكون على السنة • ولهذا ذم الله المشركين فى القرآن على اتباع ما شرع لهم شركاؤهم من الدين مالم يأذن به الله من عبادة غيره ، وفعل مالم يشرعه من الدين ، كما قال تعالى (أم لهم شركاء شرعوا لهم من الدين مالم يأذن به الله) ، كما ذمهم على أنهم حرموا مالم يحرمه الله ، والدين الحق أنه **لا حرام الا ما حرمه الله ولا دين الا ما شرعه ، ثم ان الناس فى عبادته واســـتعانته على أربعة أقسام** : فالمؤمنون المتقون هم له وبه يعبدونه ويستعينونه ، وطائفة تعبده من غير استعانة ولا صبر فتجده عند أحدهم تحريا للطاعة والورع ولزوم